دراسة مقارنة بين أشعار محمد تقي بهار و معروف الرصافي السياسية الخارجية

أ.د. سيد فضل الله ميرقادري جامعه شيراز
أ.م.د. عاطي عبيات جامعة فرهنكيان (رسول الاكرم) الاهواز
السيد موسي بيات بجامعه طهران

الملخص

في مطلع القرن العشرين واجهت البلاد الاسلامية و ايران و العراق خاصةً أحداثاً سياسيّة و تطوراتٍ اجتماعيةٍ و جاء الاستعمار إلي هذه البلاد و احتلّها لسنوات عديدة و أرسلت بعثات إلي البلاد الأوروبيّة و هكذا تعرّف أبناء البلاد الاسلامية علي الثورات و أحداثها السياسيّة و الاجتماعيّة، و بعد أن رأوا الاستبداد و الظلم في بلادهم، فأحسوا بحاجة إلي الدستور و عصفت الثورة الدستورية في ايران و العراق (الدولة العثمانية).

للشعراء و المثقّفين دورٌ كبيرٌ في تعرّف أبناء بلادهم علي الثورة الدستورية و الأحداث السياسية و الاستبداد و الظلم في الحكومة. و منهم محمد تقي بهار المعروف بـــ«ملك الشعراء» الشاعر الايراني و معروف عبدالغني الرصافي الشاعر العراقي. الشاعران كانا ملتزمين بالوطن و الشعب و تعرّفا علي الاحداث و الثورات السياسية و الاجتماعية في سائر البلاد و تأثّرا بها و تحدّثا عنها كثيراً و تابعا الاستعمار و افعاله في البلاد المتاخمة و أشادا الأبطال القوميين و الوطنيين فيها.

البحث يتطرّق إلي حياة الشاعرين و نشاطاتهما السياسيّة و الادب المقارن ثمّ يدرس الأشعار السياسية الخارجية المتعلقة بالاستعمار و الشؤون السياسية في سائر البلاد. البحث يختار المدرسة الإمريكية منهجاً في الدراسة المقارنة اعتماداً علي التشابهات و المفاهيم المشتركة بين الشاعرين.

يصل البحث إلي أنّ الشاعرين بهار و الرصافي كانا ملتزمين بالوطن و الشعب و تعرّفا علي الأحداث السياسية و الاجتماعية الخارجية تأثّرا بها. و بما أن دائرة الوطن عند الشاعرين قد تمتدّ إلي البلاد الاسلامية و الشرق كلّه، فيهتمّان بالقضايا و الأحداث السياسيّة الخارجيّة و يتطرّقان إلي الدول الاسلامية و غيرها لأهداف عديدة و يناهضان الاستعمار و الإنجليز و روسيا خاصةً ، في البلاد الآسيوية و الشرق.

الكلمات الرئيسية: الادب المقارن، الأشعار السياسية الخارجية،محمد تقي بهار،معروف عبدالغني الرصافي.

مقدمه

في مطلع القرن العشرين واجهت البلاد الاسلامية أحداثاً سياسيّةً اجتماعيّةً كثيرةً. اجتازت القوات الاستعمارية هذه البلاد و نهبت و سلبت ثرواتها و احتلّتها. نشبت الحرب العالمية الاولي و الثانية و شملت البلاد الاسلامية. و سارعت هذه البلاد خاصة ايران « باعلان حيادها و علي الرغم من ذلك أصبحت طهران- و كل ايران- مرتعاً للمؤامرات التى يقوم بها دبلوماسيو روسيا و الانجليز».(محمد جمعه، ١٩٨٣م، ١٥).

علي إثر هذه الأحداث سيطرت الدول المتحاربة في الحرب العالمية علي البلاد الاسلامية و في «أول جلسة من جلسات مؤتمر الصلح في باريس، جعلت سوريا و لبنان تحت الانتداب الفرنسي، و فلسطين و العراق تحت الانتداب الانكليزيّ» (بقاعى، ١٩٩٤م: ٥).و صارت ايران و العراق مرتعاً للأحداث السياسيّة و الحركات و الثورات الاجتماعية. و هكذا حصلت علاقات بين الشرق و الغرب و تعرّف اهل بلاد ايران و العراق علي شؤون ادارة الحكومة و الدستور و الثورات الغربية نحو الثورة الفرنسية. فثاروا

على دولهم و نشبت الثورة الدستورية في ايران و سقطت الدولة القاجارية وتقلّد رضاخان مقاليد الحكم و في العراقسقطت الدولة العثمانية.

في خضمّ هذه الأحداث و التقلّبات، كان للمفكرين و الأدباء و الشعراء دورٌ كبيرٌ في تنمية بلادهم و حصولها على الدستور و الغلبة على قوات الظلم و الاستعمار.كأنّهم متحدّثون باسم شعبهم، يعبّرون عن أحاسيسهم و هواجسهم.من أهم هؤلاء الشعراء و المفكرين في ايران هو محمد تقى ملك الشعراء بهار، و في العراق معروف الرصافي.

محمد تقي بهار ورث لقب ملك الشعراء للأعتاب المقدسة عن أبيه في الثامنة عشر من عمره. أنشد الشعر مبّكراً و بدأ بالمدح ورثاء أبيه و لكنّ «مالبث أن تغيّرت الأحوال الاجتماعية و السياسيّة حتي هجر منصبه- ملك الشعراء- و انضمّ للأحرار و المطالبين بالدستور و طرد المستعمرين من ايران» (محمدجمعه، السابق: ٣١). و التحق بحزب الديموقراط و أصدر صحيفة «نوبهار» معبّرة عن آرائه و أفكاره السياسية.

أُعتبر بهار شاعر الحرية و وارث القيم الدستورية.هو يمدح الحرية في شعره و نشاطاته السياسية،و يتطرّق إلي الشؤون السياسية كلّها و لا يترك جانباً منها،بل يتحدّث عن الدستور و الحاكم و الحكومة و رفض الاستعمار و الأحزاب و الحرب العالمية و الوطن و الأحداث السياسية و الاجتماعية في البلاد المتآخمة و الثورات الغربية و ...

أما معروف عبدالغني الرصافي « التحق بالعلامة أبي الثناء محمود شكري الألوسي لدراسة العلوم الدينية و بغتةً دعاه صاحب جريدة (أقدام) التركية ليعاونه في اصدار نسخة عربية من جريدته» (الرصافي، ٢٠٠٦ م: ٦).الرصافي كان مُولعاً بالنشاطات السياسية و يهتمّ كثيراً بالشؤون الاجتماعية. «ذهب إلى تركيا و اجتمع بالأحرار من الأتراك و اتّصل بأفكار الثورة الفرنسيّة، و كانت استجابة الرصافي إلى هذه الأفكار عميقة و صادقة» (الجيوسى، ٢٠٠٧ م:٢٥٣). هو «أصدر جريدة «الأمل» السياسية في العراق و عارض المعاهدة العراقية- الانكليزية حين كان نائباً في المجلس النيابي العراقي و ناهض الاحتلال الانكليزي و حين فشلت ثورة الكيلاني على الانكليز،اعتكف الرصافي في منزله و انتابه العلل و الأمراض و توفّي سنة ١٩٤٥ م.» (بقاعي،السابق:٣١).

و من أهمّ الموضوعات التي عالجها الرصافي في شعره،هي:الحرية و الاستقلال و رفض الانتداب و الثورة علي الظلم و الاستبداد والأحزاب و الاستعمار ...

اعتماداً على المشتركات في حياتهما و أدبهما، البحث يتطرق إليها يسعي إلى دراسة الأشعار السياسية الخارجية في ديوان الشاعرين في القسمين و هو القيام ضد الاستعمار و الاهتمام بشؤون بلاد العالم و أحداثها السياسية و التحليل و المقارنة.دراسة أشعارهما السياسية الخارجية و مقارنتها تكشف عن وجوه كثيرةٍ من ميزات أدبهما و أفكارهما و معانٍ مكنونةٍ في شعرهما و أيضاً نتعرّف على مدى تأثير و تأثّر أشعارهما بالأحداث السياسيّة الخارجية. يمكن لكلّ شخصٍ باحثٍ و دارسٍ في الأدب أن يتزوّد بمعلوماتٍ قيمة من مقارنة أشعار هذين الشاعرين السياسية. من أهمّ الأهداف التى يسعى البحث للوصول إليها، هي: دراسة الأشعار السياسية الخارجية في الديوانين دراسةً مقارنةً و التعرّف علي الشخصيات و الأحداث و النشاطات و الثورات السياسية الخارجية التى يهتمّ بها الشاعران و مدى تأثير و تأثّر الشاعرين بالأحداث السياسية الخارجية. و من أهم الأسئلة التي يسعي البحث إلي الاجابة عنها، هي:

١-ما هي العوامل و الأسباب المؤثّرة في نشأة الفكرة السياسية لدي الشاعرين؟

٢-ما هي جوانب التأثير و التأثّر في شعرهما السياسي؟

٣-ما هي أهمّ الأحداث و الشخصيات و المعاني التي تختص أشعارُهما السياسيّة بها؟

بما أنّ ملك الشعراء بهار و معروف الرصافي هما من كبّار الشعراء في العصر الحديث و لهما دورٌ كبيرٌ في أحداث مجتمعهما السياسية و الاجتماعية و، فلهذا اهتمّ الباحثون بدارسة شعرهما :

عبدالحسين زرين كوب في الفصل الأخير من كتابه «با كاروان حله» يبحث عن بهار و الأحداث السياسية، خواجه عبدالحميد عرفانى في «شرح أحوال و آثار ملك الشعراء محمدتقى بهار» يهتمّ بدراسة حياة بهار و الأحداث السياسية و الاجتماعية آنذاك، ايمان يوسف بقاعي في كتابه باسم «معروف

الرصافي» يتطرق إلى التيارات الايدؤلوجية بعد حرب العالمية الأولى و عصر النهضة و حياة الرصافي و يتحدّث عن آراء الرصافي في السياسة و المرأة و العمل و الاسلام . أحمد أبوحاقه في « الالتزام في الشعر العربي» يدرس قضية الالتزام القومي و الاجتماعي في الشعر العربي و يتطرّق إليه في شعر الرصافي. و هناك بعض البحوث الجامعية التي تطرّق إليهما،مثل:

اسماعيل رحيمى نيا في «بررسى زندگى و أشعار سياسى معروف الرصافى»، و محمود رضا توكلي محمدي في «تعهّد در اشعار معروف الرصافي» و منصورة زركوب و محمود رضا توكلي محمدي في «الالتزام السياسي في شعر معروف الرصافي».

كما تقدّم، بذلت البحوث المذكورة جهوداً لدراسة بعض الجوانب الخاصة من أدب بهار و الرصافي و التعرّف علي ميزات أشعارهما و لكنّ ميزة هذا البحث هي أنّه يقوم بدراسة أشعار الشاعرين السياسية الخارجية دراسة مقارنة عميقة ما كتب فيها باحثٌ أو كاتبٌ حتى الأن. نظرة إلى المواقف و المشتركات السياسية الخارجية العديدة بين الشاعرين، تُكشف لنا ميزة هذا البحث. منهج البحث هو المنهج المقارن. بما أنّ الشاعرين كانا من فحول الشعراء و أكبرهم في السياسة، و إتّخذا مواقف سياسية خارجية مشتركة تجاه الأحداث، اعتماداً علي هذه المشتركات و التشابهات و قليلٍ من التمايزات، أُختير المنهج الإمريكي في الادب المقارن لدراسة أشعار الشاعرين دراسة مقارنة.

الأدب المقارن

أصحاب المناهج و المدارس المقارنة يختلفون في تعاريفهم من الأدب المقارن علي حسب رؤيتهم و نظرتهم إلي الأدب المقارن و لكن «مع هذه الاختلافات كلّهم متّفقون علي تسميّة العلم بالأدب المقارن» (جمال الدين، ١٣٨٩ه.ش:٩). في أبسط تعريف يمكن أن نقول: الأدب المقارن هو دراسة علاقات أدب أمة مع أدب أمة أخري و الكشف عنها. محمد غنيمي هلال يعرّف الأدب المقارن بأنّه «هو دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجة عن نطاق اللغة القومية التي كتب بها» (غنيمي هلال، ١٩٦٢م:٦).

إن كان الأدب المقارن حديث النشأة كمصطلح علمي خاص و لكن تاريخه يصل إلي القديم و اتصال الرومان بأدب الإغريق. في القرن الثامن عشر بدأت تظهر بعض الدراسات المبنية علي «المقارنة» نتيجة اتصال الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية الأخري و بخاصة الأدب الإنجليزي و الألماني. و« يُعتبر القرن التاسع عشر- بحق- مولد العصور الحديثة، و فيه أيضاً وُلد الأدب المقارن» (الراجحي، ٢٠٠٧ م:١٣-١٢). الأدب المقارن كمصطلح «عُرف في فرنسا لأوَّل مرّة منذ عام ١٨٢٧ م. بفضل «فيلمان» الأستاذ بجامعة (سربون) الذي أخذ منذ هذا التاريخ يستخدمه في محاضراته و قد غلب هذا المصطلح، فيما بعد علي كثير من المؤلّفات و الدِّراسات حتي فَرضَ نفسَه علي الدِّراسات المقارنة» (عبدالرحمن، ٢٠٠٠ م:٥). كُتب اوّل كتاب علمي في الأدب المقارن أوائل القرن العشرين، و كاتبه هو فان تيجم من أكبر أساتذة الأدب المقارن في فرنسا و العالم كلّه. و علي يده و سائر الأساتذة نشأت أول مدرسة في الأدب المقارن و هي المدرسة الفرنسية» (نظري منظم، ١٣٨٩ه. ش: ٢٢٢).

إنّ الأدب المقارن يكشف لنا عن مقدرات و معايب أدبنا و مكانته بين آداب العالم و يوّجه الأذواق الأدبية نحو الرشد و الطريق الصحيح و يغذّي النقد الأدبي و تاريخ الأدب. الأدب المقارن «ففي المجال القومي يؤدّي الاطلاع علي آداب أجنبية أخري و مقارنتها بالأدب القومي إلي التخفيف من حدة تعصّب اللغة و الأدب القومي بغير مقتض صحيح. و من فوائد دراسة الأدب زيادة التفاهم و التقارب بين الشعوب بمعرفة عاداتها و طرائق تفكيرها و ...» (ندا، ١٩٩١ م: ٢٨-٢٦).

مدارس الأدب المقارن

المدرسة الفرنسية

المدرسة الفرنسية هي أول مدرسة في الأدب المقارن التي بنيت علي الفلسفة الوضعية. و «قد بدأت في أوائل القرن التاسع عشر، و سيطرت علي الدراسات الأدبية حتي منتصف القرن العشرين الذي ظهرت مدارس أخري في الأدب المقارن» (جمال الدين،١٣٨٩ه.ش :١٤).

المدرسة الفرنسية تستخدم الأدب المقارن في خدمة الأدب القومي، لكي تكشف عن أثر الأدب الفرنسي

في الآداب الأوروبية و غيرها. و فيها «يري علماء الأدب أن الهدف الذي يسعون إلي تحقيقه هو استقصاء ظواهر التأثير و التأثّر بين الآداب القومية المقارنة» (عبّود،١٩٩٩م:٢٧).

دراسة الأدب المقارن عند المدرسة الفرنسية لها شروط و هي: أولاً: أن يكون اختلاف في اللغات بين الآداب. ثانياً: أن تكون صلة تاريخية بين الآداب، فلهذا قد تُسمّي بالمدرسة التاريخية . فـــ«لايدخل في دائرة الأدب المقارن تلك الدراسات التي تعقد بين أدباء لم يثبت بالدليل القاطع قيام صلة بينهم» (ندا،السابق:٢٤).

ثالثاً: بناء الدراسات المقارنة علي الأدلّة و الوثائق دون الحدس و التخمين. المدرسة الفرنسية توكّد علي وجود الأدلّة في صلة الآداب و يجتنب الظنّ و الحدس .من روّاد المدرسة الفرنسية هو جاك امبير؛ جوزيف تكست، فرديناند برونتيير، جويار و فان تيجم و ... .

المدرسة الإمريكية (النقد الجديد)

ظهرت مدارس في الأدب المقارن ردّاً علي المدرسة الفرنسية و منها هي المدرسة الإمريكية (النقد الجديد). «فقد حمل رينيه ويليك ممثّل هذا الاتجاه علي دراسات التأثير و أسسها الفلسفية و وجّه إلي المدرسة الفرنسية نقداً لا مثيل له في حدّته و نسف أسس تلك المدرسة و مرتكزاتها» (ميرقادري،كياني،١٣٩٠ه.ش:٤). الدارسون الإمريكيون لايعتبرون اللغة فصلاً للدراسات المقارنة بل «القومية و ليست اللغة هي التي تحدّد نوع الأدب و علي هذا تكون دراسة الأدبين الإنجليزي و الإمريكي دراسة مقارنة ممّا يدخل ضمن نطاق الأدب المقارن» (كفافي،١٩٧١م:٢٤). المدرسة الإمريكية هي تعتقد بأنّ الحدود السياسية المشتركة تؤدّي إلي انشاء المفاهيم و القضايا المشتركة في أهلها، خلاف ما تعتقد به المدرسة الفرنسية.

الدارس المقارن في المدرسة الإمريكية لاحاجة له إلي صلة تاريخية بين الآداب المختلفة اثباتاً لتفوق أدبه علي سائر الآداب كالأوروبية و الآسيوية، بل هو يستطيع أن يقارن بين الفنون المتناظرة في الآداب المختلفة كالملحمة و القصة و الأقصوصة و المسرحية و ... . المدرسة الإمريكية تترك الهوامش و الاضافات في دراستها المقارنة، بل تتوغّل في أدبية النص و تقوم بتحليل النص الأدبي و نقده دون الالتزام بظاهرة التاثير و التأثر حتي تكشف عن جواهره اللامعة. أي هي لا تجعل نفسها بين جدران تاريخ، بل تقطع أسوار التاريخ .

الأدب المقارن في المدرسة الإمريكية ينفع أدبية النص و يقربّنا إلي فهم النصوص الأدبية، و هي تسعي إلي الكشف عن الجوانب الجمالية و الفنيّة و «يرفض الاهتمام بالتاريخ و القومية و الشؤون الاجتماعية في الأدب المقارن، لأنّ المجتمع الإمريكي متكوّن من الأجناس و الشعوب المختلفة» (جمال الدين،٢٠٠٣م :٢٠). من أكبر أساتذة الأدب المقارن في المدرسة الإمريكية هو رينيه ويليك و هاري ليون، آستن واري و هنري رماك.

المدرسة السلافية

المدرسة السلافية قد تُسمّي بالتشابهات التيبولوجية و المذهب المادي الجدلي ظهرت في الأدب المقارن ردّاً علي المدرسة الفرنسية. الفلسفة الماركسية هي أساس المدرسة السلافية و هي «فلسفة تملك نظرة شمولية إلي الكون و المجتمع و الثقافة و الأدب و تقول بوجود علاقة جدلية بين القاعدة المادية أو البناء التحتي للمجتمع، و بين البناء الفوقي الذي تشكلّ الثقافة و الأدب أهمّ مكّوناته» (عبّود،١٩٩٩م :٤). البناء التحتي يتحكّم و يحدّد البناء الفوقي و الأدب و الثقافة و إذا تتفاوت المجتمعات في التطورات الاجتماعية، فتتفاوت في بناها الأدبية. « المدرسة الفرنسية تستخدم التاريخ لاثبات التأثير في الأدب و لكنّ المدرسة السلافية تستخدم التاريخ لاثبات دور المجتمع و الصراعات الطبقية في ظهور الأدب و أنواعه» (جمال الدين،السابق: ٢٢).

ظهرت المدرسة السلافية في بلدان أوروبا الشرقية. و المقارنون اللامعون في المدرسة السلافية هو: مارنيو، دوريشين، فيلمن و فيكتور جيرمونسكي.

المنهج الألماني

مدارس النقد الأدبي قبل ظهور المنهج الألماني تهتمّ بالمؤلّف والنص الأدبي في قراءة و فهم النص و

لكنّ «في أواخر الستينيات من هذا القرن حدث «تحول أنموذج» آخر في النقد الأدبي أسفر عن اتجاه جديد تُعرف بنظرية التلقّي أو جمالية التلقّي. لقد قام هذه الاتجاه النقدي بنقل مركز الاهتمام من انتاج الأعمال الأدبية و جماليّته إلي تلقّي الأعمال الأدبية و جماليته» (عبّود،السابق :٥١).

المنهج الألماني ينظر إلي تلقّي الأعمال الأدبية و هو البعد الثالث في مثلث المولّف و النص و المتلقّي. المتلقّي هو الذي حسب شخصيته و دراساته السابقة و ثقافته و أفق توقّعاته يوتي النص المعني و ليس دور المتلقي سلبياً متأثراً بل يكون ايجابياً. «المفهوم الجديد يري أن الأدب المقارن علم يبحث عن العلاقات الاستقبالية التي تقوم بين الآداب القومية المختلفة، و بتأثير هذا المفهوم تمّ التأثير علي المتأثّر لأنّه يتلقّي النص المؤثّر وفق تصوراته وثقافته الفردية و لا شك أن دراسة التأثير هذا المفهوم تكسب الأدب المقارن نوعاً من الثراء» (ميرقادري و كياني،١٣٩٠ه.ش : ١٥). تُعدّ قصة ليلى و المجنون في الأدب العربي الفارسي و التركي نموذجاً لهذا النوع من التلقّي و دراسة المقارنة.

سيرة محمد تقي بهار الذاتية

محمدتقي بهار المعروف بـ«ملك الشعراء» و شاعر الحرية و الوطن و يكتب هو نفسه في ترجمته «ولدتُ في إحدي ليالي الخريف سنة ١٣٠٤ ه.ق. بمدينة مشهد. أبي هو محمد كاظم صبوري الشاعر في بلاط ناصر الدين شاه» (بهار، ١٣٣٤ه. ش:٥). هو منذ طفولته مال إلي الشعر و الأدب و أظهر مواهبه في انشاد الشعر و أبوه كان يحميه و ينقله إلي الأوساط الأدبية و «لكنّه بعد موت ناصر الدين و اختبار الأوضاع الاجتماعية و السياسية نهاه عن الشعر و الأدب خوفاً من الفقر و الفاقة» (آژند، ١٣٨٥ ه. ش:١٢٢)

انضمّ محمدتقي بهار بعد موت أبيه إلي الأحرار و مؤيدي الثورة الدستورية و رفض الاستعمار و أفني عمره في سبيل السياسة و آرائه الاجتماعية و الوطنية و جعل أدبه في خدمة السياسة و الوطن. و «هو شاعر الحرية الكبير الذّي لم يتحدّث شاعر آخر عن الحرية بجودته» (زرين كوب، ١٣٤٧ ه.ش: ٣٠٩). كان يهتمّ بالشؤون و الأحداث السياسيّة و يبذل جلّ همته للشعب الايراني و هواجسه، كانّه يتحدّث باسمهم و هو «بارقة لامعة في العصر الحديث، و ليس هو شاعر فقط، بل هو مؤرّخ حاذق و عالمٌ اجتماعيٌ، صحفيّ، سياسيٌّ مُلتزِمٌ و متحرّرٌ و هو الّذي بني أسلوباً جديداً في الشعر الفارسي» (نظامي، ١٣٨٧ ه.ش: ٢٥٠)

نشاطات بهار السياسية

عندما هَبَّت ريح الحرية في أرض ايران، ترك بهار منصب ملك الشعراء و الأعتاب المقدّسة، و «انضمّ إلي الأحرار المطالبين بالدستور و طرد المستعمرين من ايران» (محمد جمعه،١٩٨٣م:٣١). انضمّ إلي الدستوريين و كتب أشعاره السياسيّة في صحيفة (خراسان) دون توقيع و عبّر عن أحاسيسه و هواجسه دفاعاً عن الثورة الدستورية و رفضَ المستعمرين و روسيا خاصة. «هو تعرّف علي (انجمن سعادت) في خراسان و علي أفكارها و انضمّ إليها و هي جمعيّة تضمّ الشباب المطلعين و متنوّري الفكر و فيها أظهر نبوغه السياسي، و تعرّف علي (حيدرخان عمو اوغلو) المجاهد المعروف الذي أسّس حزب الديموقراط. فهو تعاون مع الحزب و أنشد أشعاراً في خدمة أهدافه» (نيكوهمت، ١٣٦١ ه.ش: ١٣-١١)، كأنّه متحدّث باسم حزب الديموقراط و صحيفة (نوبهار) التي أصدرها محمدتقي بهار هي صحيفة الحزب و تنتشر أخبار الحزب و أفكاره.

كتب بهار مقالات سياسية لاذعة و عنيفة ضد الاستعمار و الإنجليز و روسيا خاصة و اتّخذَ موقفاً شديداً تجاههما و أظهر مواقف الاستعمار و كشف عنها، فلهذا «توقّفت صحيفة نوبهار و أصدر مكانها (تازه بهار) و هي أيضاً توقّفت بعد اصدار الرقم التاسع منها و أُعتقل بهار مع جماعة من حزب الديموقراط و أرسل إلي طهران» (آژند،السابق :١٢٣). أُفرْج عنه بعد مدة و رجع إلي مشهد و واصل نشاطاته السياسية و الصحفيّة ضد الاستعمار. «و في سنة ١٣٣٢ ه.ق. بداية الحرب العالمية الأولي أُنتخب نائب البرلمان الثالثة من دائرة (كلات، درجز، سرخس) الانتخابية فجاء إلي طهران، ثمّ ذهب إلي مدينة قم مع المهاجرين و لكنّه بعد كسر يده رجع إلي طهران، ثُمَّ أُعتقل و أُرسل إلي بجنورد» (أصيل، ١٣٧٤ ه.ش: نه). و أُنتخب نائباً من دائرة بجنورد الانتخابية في المرحلة الرابعة و من (ترشيز) في

المرحلة الخامسة و من طهران في المرحلة السادسة. بهار هو في المرحلة الخامسة و السادسة انضمّ إلي الجبهة المعارضة (الأقليّة) جنب (مدرس) و (آشتياني). و « آخر نشاطه الاجتماعية غير السياسية في رأيه، رئاسة جمعية محبّي السَّلام» (رفعت، ١٣٦٥ ه.ش:٤٩).

سيرة معروف الرصافي الذاتية

معروف عبدالغني الرصافي شاعر العراق الكبير وُلد عام ١٨٧٥ م. في بغداد و بدأ تعليمه في الكتاتيب ثمّ «التحق بالمدرسة الرشدية العسكرية فاضطر أن يترك الدراسة في المدارس الرسمية ويتّجه إلي طلب العلوم الدينية» (الرصافي،٢٠٠٦م: ٨-٧).هو رجل الأدب و الشعر و له أحاسيس عاطفية و انسانية فـ«لازم العلامة محمود شكري الآلوسي مؤلّف كتاب (نهاية الإرب في أحوال العرب).كان الآلوسي يتزعّم الحركة التي تدعو لتمجيد القيّم العربية و التراث العربي» (خليل، ٢٠١١م:٩٨). و لنزعته القومية و العربية أثرٌ شديدٌ علي طبيعة الرصافي و شخصيته القومية و الشعبية و نري هذا واضحاً في شعره.

« و قد تقلّب في عدة وظائف،فعمّل مدرّساً و مفتّشاً للغة العربية و عمل في تركيا محرّراً للقسم العربي في إحدي مجلّاتها» (خورشا، ١٣٨١ ه.ش:٩٥). ظهر نبوغه و قوّته في الشعر منذ نعومة أظفاره و أكبّ علي دراسة الأدب و الشعر و «ينشد قصائده في الصحف المصرية و خاصة جريدة (المؤيّد) و مجلة (المقتطف) و غيرهما، و شعره يتناقله الرواة و يتذاكره أهل الأدب، ليس في البلاد العربية فحسب، بل في المهاجر كذلك» (الرصافي، ٢٠٠٦م:٩).

الرصافي «أُنتخب نائباً في مجلس المبعوثان العثماني، ثم استدعاه أحد أصدقائه للتدريس في دارالمعلمين بالقدس و أخيراً عُيّنَ في العراق نائباً لرئيس لجنة الترجمة في وزارة المعارف، ثم أُنتخب عضواً في مجلس النواب العراقي» (فاخوري، ١٣٨٥ ه.ش:١٠١٦).أيّد ثورة رشيد عالي الكيلاني و لكنّه بعد فشلها اعتزل الاجتماع حتي «توفّي في ١٦ أيار ١٩٤٥ م. بعد عزلة ضربها علي نفسه في الأعظمية ببغداد » (خليل، السابق).

نشاطات الرصافي السياسية

الرصافي هو شاعر اجتماعيّ سياسيّ ملتزمٌ. ليس هذا بمعني أنّ شعره كلّه هو في الالتزام، بل الرصافي أنشد في الموضوعات العديدة و «لكنّ الالتزام السياسي و الاجتماعي كان أبرز ما اتّصف به هذا الشعر » (أبوحاقه، ١٩٧٠ م:٢٠٥). نقطة انطلاق الرصافي إلي السياسة حادثة معينة و هي «عندما أعلن سلطان عبدالحميد الثاني اعادة العمل بالدستور (المشروطية)، لمع اسم الرصافي وسط هذه الأحداث عندما ترجم إلي العربية النشيد الوطني الذي وضعه الشاعر التركي المشهور توفيق فكرت» (الرصافي،السابق :١٠).

ذهب إلي الآستانه بدعوة صاحب جريدة باسم (سبيل الرشاد) فلم ينجح في نشرها. فعاد إلي العراق و « أصدر جريدته(الأمل) السياسية في عهد صديقه رئيس الوزراء عبدالرحمن السعدون بالاشتراك مع ابراهيم حلمي و لكن الجريدة توقّفت بعد ٦٨ عدداً» (بقاعي،١٩٩٤م: ٣١-٢٧). أُنتخب الرصافي نائباً في مجلس المبعوثان العثماني، لكنّه عاد إلي بغداد و واصل نشاطاتة الثقافية و السياسية «ثمّ أُنتخب عضواً في مجلس النواب العراقي، إلّا أنّه ما عتّم أن اعتزل الناس بسبب مجافاة الحكومة له» (فاخوري،السابق:١٠١٦) .

من هواجسه السياسيّة رفض الاستعمار و مناهضته و كان ملمّاً بالأحداث السياسية في العالم، كما أنّه «حيث اجتمع بالأحرار من الأتراك، اتّصل بأفكار الثورة الفرنسية التي كانت قد ترجمت إلي التركية» (الجيوسي،٢٠٠٧م : ٢٥٣)، فرفض الانتداب في شعره و أكدّ علي الاتحاد القومي و « عارض المعاهدة العراقية – الإنجليزية حين كان نائباً في المجلس النيابي العراقي عام ١٩٣٠ م. و ناهض الاحتلال الإنكليزي منذ عام ١٩٣٠-١٩٤٠ م.» (بقاعي، السابق:٣١). بما أنّ «الدولة العثمانية كانت آنذاك تُمثّل رمز الإسلام و القوة التي تحول دون تحقيق أطماع أوروبا في العالم العربي و الإسلامي» (عبود شراد، ١٩٩٨ م:٣٢)، يتعاطف مع الدولة العثمانية في صراعها مع الأوروبين في الحرب العالمية.

الرصافي لازم الكيلاني و دافع عن ثورته بلسانه و قلمه لأنّه يرجو أنّ الكيلاني هو الذي يتجسّد و

يتمثّل الاستقلال الوطني و لكنّه بعد فشل ثورة الكيلاني، اعتزل عن النشاطات السياسية حتّي توفّي.

الأشعار المتعلّقة بالسياسة الخارجية

القيام ضد الاستعمار

عندما تستيقظ البلاد الإسلامية و تنظر إلي مكانتها في العالم و تري تخلفّها عن العالم و البلدان الأوروبية خاصة، فتقوم بالحركة و الثورة علي نفسها و لكنّها اعترض لها الاستعمار و الانتداب. من ثَمَّ هي تبذل قصاري جهودها للقيام عليه و نضاله و الدفاع عن الوطن. الشاعر المتلزم، هنا يعبرّ عن آراء أبناء وطنه حيال الاستعمار و يستخدم آلياتٍ مختلفةً ضد الاستعمار و الانتداب. قد يعبرّ عن نوايا الاستعمار و برامجه لاحتلال البلاد الإسلامية و يتحدّث عن نهبه و سلبه ثروات المسلمين و قتلهم و هدم أوطانهم و قد ينتقده و يهجوه نقداً و هجاءاً ساخراً لادغاً و قد يحرّض أبناء وطنه للدفاع عن الوطن و القيام علي الاستعمار.

القيام ضد الاستعمار في شعر بهار

بهار هو من روّاد القيام ضد الاستعمار و بذل قصاري جهوده في سبيل الدفاع عن الوطن و مناهضة الاستعمار. و ينتقد الاستعمار نقداً لاذعاً و يكشف عن مقاصده، فلهذا نُفي مرات عديدة من قِبَل الاستعمار و هو يشير إلي ذلك:

« در هزار و سيصد و سي، روسيان روسبي — طرد كردندم به ري، زيرا كسم ياور نبود
لشكر روس از در قزوين به ري راندند و من — سوي قم راندم از آن كم تاب آن لشكر نبود
مهتر ملكم به امر انگلستان بند كرد — از سپهسالار دون همت جز اين در خور نبود»

(بهار، ١٣٨٧ه.ش: ٣٠٢-٣٠٠).

هو يعتقد بأنّ السبب الرئيسي في نفيه ليس هو الحكومة أو حاكمٍ ما، بل هو الاستعمار، لأنّه- بهار- يكشف عن نواياه و يحذّر أبناء وطنه منه. لكنّه لايفرّ من ساحة الدفاع عن الوطن و القيام ضد الاستعمار:

«هو شدم اما ز ميدان در نرفتم مرد وار — ليك ياران را سر برگ من مضطر نبود»

(السابق: ٣٠١).

بهار عندما يري اجراءات الاستعمار و اقداماته ضد ايران و سلبه و نهبه ثرواتها أو هجومه علي بلدٍ يقوم بردّ الفعل العنيف و يتطرق إليه و ينتقد منه و يندّده و يندّد اجراءاته الاجرامية ضد ايران و شعبها و مصالحها.

هو يحذّر (محمدعلي شاه) من تسليم ايران إلي روسيا و هو يعتقد أن روسيا شيطانٌ و هي لا تقنع ببعض المعاهدات و الامتيازات، بل تريد ايران كلّها و هي بعد الوصول إلي مطالبه، يطلب من ايران منافع أخري و هذه سلوكه و تستمرّ عليه:

«پادشها نصيحتم شنو — مملكت را به دست روس مده
روس اهريمني است خونخواره — به كف اهرمن دبوس مده»

(السابق: ١١٠١).

و الدول الاستعمارية و روسيا خاصة، هي تمارس الخُطط العديدة لاحتلال البلاد من الحرب و السّلام و المكر و الغدر و الحيلة و المعاهدات و ... لكي تستمرّ سيطرتها علي البلاد:

«گاه لطف است و خوشي گاه عتابست و خطاب — تا چه از اين همه پلتيك تقاضا دارند
خوبرويان اروپا ز چه در مردن ما — حيله سازند گر اعجاز مسيحا دارند»

(السابق: ١٠٢٧-١٠٢٦).

و لكنّ بهار يتفاخر بالأحرار و يقول بأنّ لهم فكرة التحرير و الاستقلال و لا يهتمّون بسياسة الاستعمار:

«عاشقان را سر آزادي و استقلال است كي ز پلتيك سر زلف تو پروا دارند»

(بهار، ١٣٨٧ه.ش: ١٠٢٧).

الحكومة تستفيد من الخبراء الأجانب في شؤون المالية و الادارية و ... ، و منهم هو الخبير الإمريكي (شوستر) الذي كان يشرف من قِبل الحكومة علي الشؤون المالية و«لكن هذا الاجراء لم يرق لكلّ من إنجلترا و روسيا خوفاً من أن تتدخّل إمريكا طرفاً في السيطرة علي موارد ايران، لذا سارعت روسيا بتقديم انذار شديد اللهجة إلي الحكومة الايرانية و طالبت فيه بطرد (شوستر) من ايران و صحب هذا الانذار بالغزو » (محمد جمعه،١٩٨٣م: ٣٨). أغضب هذا الاجراء من قِبَل الحكومة أحرارَ ايران و منوّري الفكر و منهم الشاعر محمدتقي بهار الذي سارع بردّ الفعل عليها و يحرّض الايرانيين للدفاع عن الوطن و يتطرّق فيه إلي مقاصد الاستعمار لاحتلال ايران و يعتقد بأنّ هذه الاحتلالات و الحروب هي تتمة الحروب الصليبية و لها جذر ديني. فبهار هو يحرّض أحاسيس أبناء وطنه الدينية و الوطنية قائلاً:

«به كين اسلام باز، خاسته برپا صليب خصم شمال و جنوب داده نداي مهيب
روح تمدن به لب آية امن يجيب دين محمد يتيم،كشور ايران غريب

بر اين يتيم و غريب نيكي آئين ماست
ايران مال شماست،ايران مال شماست

(بهار،السابق : ٢٠٩-٢٠٨).

الاستعمار يستهدف إلي العقائد و الأماكن الدينية و يتهجم عليها، من هذه الاجراءات الوحشية هي قصف الأعتاب المقدّسة سنة ١٢٩٠ه.ش. بهار يصف لنا هذا المشهد و ما فيه من قتل الأبرياء و هدم الأعتاب المقدّسة و يشكو إلي النبي (ص) و يدعو المسلمين أن يذرفوا الدم من عيونهم بدل الدمع حزناً لهذه المصيبة الوجيعة و يصوّر لنا صورة وحشية من الاستعمار:

« بوي خون اي باد از طوس سوي يثرب بر با نبي بر گو از تربت خونين پسر
بنگر باز كه اين خيره تمدن خواهان كرده آن كار كه وحشي ننمايد باور!
هشتصد مرد و زن از بومي و زوار و غريب داده جان از يورش لشكر روس كافر»

(السابق: ١٨٧-١٨٦).

أما الإنجليز، فبهار كان يبغضهم أكثر من روسيا فيدعو عليهم أن تيرفضوا و تيشرّدوا من البلاد الآسيوية والأفريقية كمصر و قائلاً:

« انگليسا در جهان بيچاره و رسوا شوي ز آسيا آواره گردي و ز اروپا، پا شوي
چشم‌پوشي با دل صدپاره از سودان و مصر وز بوير و كاپ، دل بر كنده و در وا شوي»

(السابق: ٥٥٣).

نعم، بهار هو الشاعر الوطني الذي أفني عمره في سبيل الحرية و استقلال الوطن، لذلك هو يعارض أيَّ تدخّلٍ أجنبيٍّ، و «لكنّه يعتبر الإنجليز السببَ الرئيسيَّ في تخلّف ايران و البلاد الشرقية كلّها» (گيوي،١٣٧٠ه.ش: ١١) . و يأتي بأدلة لمعارضته الإنجليز، نحو قمع الشباب الوطنيين و احتلال الهند و الأفغان و البلاد الشرقية كلّها، و سلب و نهب ثرواتها :

« هر كجا ديدي جوانمردي وطن خواه و غيور از ميان برديش تا خود در جهان آقا شوي
با فريب و خدعه كشتي صاحبان هند را تا چو طاعون و وبا در هند پا برجا شوي
هند و افغان را تهي كردي زمردان فكور تا تو خود تنها در آن معموره ملك آرا شوي»

(بهار،السابق: ٥٥٥).

كما تقدّم، الشاعر بأمثلةٍ من اجراءات الإنجليز الاستعمارية لكي يبين لنا حقيقة الاستعمار. بهار لا يتحدّث عن الاستعمار الداخلي ، بل يتطرّق إلي إجراءاته في البلاد الإسلامية و غيرها كالعراق و الهند و

هذه تُبدي للمخاطب فكرة بهار العالمية لا الوطنية فحسب، بل إنّه يهتمّ بما جري علي سائر البلاد.

هو يعُدُّ الاستعمار الإنجليزي و جوره علي ايران أقبح و أوجع ظلمٍ فُرض عليها طوال التاريخ،و من هجوم المغول علي ايران. و يلقّب الإنجليز بـــ(ثعلب هرم = روباه پير) لمكرها و غدرها في سلوكها تعاملها مع البلاد الإسلامية.

« ظلمي كه انگليس در اين خاك و آب كرد — نه بيوراسب كرد و نه افراسياب كرد
روباه پير يافت كه آلمان به قصد شرق — دندان و پنج تيزتر از شير غاب كرد»

(بهار، ١٣٨٧ه.ش: ٥٥٣-٥٥٢).

و هو يتطرّق إلي المعاهدات الاستعمارية و نقض عهده تجاه البلاد الإسلامية و غيرها في مجموعة «حِوار ملكين = گفتگوي دو شاه» التي جرت بين فرانسوا جوزيف ملك النِمْسا و ويكتوريا امانوئل ملك إيطاليا بلسانٍ سخريّ:

«وفا و عهد به عالم چه قيمتي دارد؟ — دو پاره كاغذ باطل چه قيمتي دارد؟
معاهده است فقط از براي خر كردن — وز آن ميان خر خود را ز پل بدر كردن»

(السابق : ٨٢٥).

تنافست روسيا و الإنجليز علي ايران و ثرواتها و كلّ يسعي إلي استغلالها لنفسه إلي أن «وقّعوا فيها بينهم اتفاقيةً قسموا بمقتضاها ايران إلي مناطق النفوذ؛ حيث أصبحت المناطق الشمالية تحت سيطرة الروس، في حين سيطرت إنجلترا علي المناطق الجنوبية من ايران. و قد وقّعت هذه الاتفاقية في عام ١٩٠٧ م.»(محمد جمعه،١٩٨٣م:١٣). و هذه أغضبت الأحرار و المثقّفين ،منهم بهار الذي أرسل رسالةً إلي وزيرالخارجية الإنجليزي السير (إدوارد جري) و أدان فيها الاتفاقية داعياً (جري) إلي نبذ سلوكه الاستعماري و رفض المعاهدة:

« سوي لندن گذر اي پاك نسيم سحري — سخن از من بر گو به سر ادوار گري
اندر آن عهد كه با روس ببستي زين پيش — غبن‌ها بود و نديدي تو زكوته نظري
نه همي زير پي روس شود ايران پست — بلكه افغاني ويران شود و كاشغري»

(بهار، السابق: ١٧٤-١٧٣).

كما تقدّم، الشعراء كانوا يتعرّفون علي الاستعمار و مقاصده في البلاد الإسلامية و غيرها و هم يعرفون «أنّ نية الاستعمار هي تمزيق وحدة الشعب و امتصاص خيراته و محو ثقافاته الأصيلة» (مصطفوي نيا و رحمني،٢٠٠٩م : ١١٠). فعلي هذا بهار يدعو الشباب إلي الدفاع عن الوطن و طرد الاستعمار عن ايران بعد انذار روسيا ايران و احتلالها:

« هان اي ايرانيان، بينم محبوستان — به پنجه انگليس، به چنگل روستان
گويي در اين ميان گرفته كابوستان — كز دو طرف مي‌برند ثروت و ناموستان

در ره ناموس و مال، كوشش كردن رواست
ايران مال شماست ايران مال شماست » (بهار،السابق : ٢٠٩).

بهار لاينتقد روسيا و الإنجليز فحسب، بل كلّ عدوٍ يتدخّل في البلاد نحو الدولة العثمانية التي هجمت علي ايران من الحدود الغربية و سبّبت الفتن و المشاكل و المصاعب لايران. فهو يدعو الشعب إلي دفاع

عن الوطن و يحذّرهم من الاحتلال الأجنبيّ:

« اين كشور كيست در دست عدو؟ اين كشور ماست، اين كشور ماست
در مغرب ملك جنگ است و جدال در مشرق ملك قتل است وثفاست»

(بهار، ١٣٨٧ه.ش: ٢٢٧).

مهما كان بهار من مؤيدي الحلفاء ا في الحرب العالمية و الدولة العثمانية بجانب ألمانيا و لكنّه لايتماشي مع الدولة العثمانية و لايداهنها بسبب حبّه للوطن.

القيام ضد الاستعمار في شعر الرصافي

الرصافي هو شاعر الحرية و الوطن و الأهم عنده هو الوطن و لايداهن فيه، لذلك يناهض كل ما يعترض علي سبيل الوطن ويسدّ طريق تقدمّه. من هذا المنطلق هو يعارض الاستعمار و «أول الطريق في هذه المسيرة فضح أساليب الاستعمار و جرائمه» (الخوص،١٩٨٦م: ٢٦). الرصافي يصوّر الاستعمار و الانتداب و يكشف عن نواياه و مقاصده و يفضح أساليبه الاستعمارية و هو يصوّره في هيئة الغادة التي ظاهرها خلّابة و باطنها مفسدة و مهمتها سلب و نهب ثروات البلاد العربية:

« في الكوخِ من بغدادَ مرّتْ بنا يوماً فتاةٌ من ذواتِ الحجاب
تختلبُ الناسَ بأوضاعِها و كلُّ ما يصدُرُ منها خِلاب
قالَ جليسي يومَ مرّتْ بنا من هذه الغادةُ ذات حجاب؟
قلتُ له تلك لأوطانِنا حكومةٌ جادَ بها الانتداب»

(الرصافي،٢٠٠٦م : ٥٨٧-٥٨٦).

و هو يصف لنا الاستعمار بأنّ مهمته في الشرق و البلاد الإسلامية هي السلب و النهب و امتصاص دماء أهل الشرق و الغرب هو خائنٌ للشرق و أبنائه :

«و تري الغربَ عليه واقفاً موقفَ خائن
فهو يمتصُ دماءَ الشر قِ من كلِّ الأماكن»

(السابق: ٥٦٨-٥٦٧).

فهم يدّعون بأنّهم جاءوا إلي الشرق للوصاية و القيمومة علي البلاد الإسلامية، لأنّها غير قادرة أن تسير الي الرشد و حكامها غير لأئقين للحكم عليها:

« يقولُون إنّا عاملونَ لسعدِكم و لم يعملوا غير الكوارثِ و الكرث
فكمْ بعثوا في الشرقِ حرباً ذميمةً تمثّلُ في أهوالها ساعةُ البعث»

(السابق: ٦١٠).

و الحقيقة هي أنّه ما جاء إلي العراق و البلاد الإسلامية للعُمران كما زعم الاستعمار، بل وظيفته هي الاحتلال و السلب و النهب و «إلي هذا المعني أشار الشاعر العراقي محمدباقر الحليّ، متعجباً:

«هم يدعون علي العراقِ وصايةً عجباً فهَل أبناؤه أيتام؟!»

(عبود شراد،١٩٩٨م: ٦٤).

الرصافي يقول إنّ الاستعمار تبدّل استقلال العراق بالانتداب إلي أن غدا استقلالها ضحكة الناس،

لأنّها ليس في العراق من الاستقلال سوي اسمه. الاستعمار الانجليزي هو يتدخّل في شؤون العراق الداخلية، كأنّه وزيرٌ أو عميدٌ يتردّد كلّ يومٍ إلي الوزارات العراقية و يأخذ من الحكومة راتباً كمؤظفٍ:

«تبدَّلتم استقلالَنا بانتدابِكم ... و لكن علي وجهٍ لنا هو مُعبِد
إلي أن غدا استقلالُنا ضحكةَ الوري ... به ساخرٌ كلَّ امريءٍ و منددِّ
سلِ الإنكليزيَ الذي لم يزلْ له ... بَدسْتِ وزيرِ الداخليةِ مقعد
أأنت وزيرٌ أم عميدُ وزارةٍ ... نراك إليها كلَّ يومٍ تردّد»

(الرصافي،٢٠٠٦م: ٦١١).

الرصافي يعتقد بأن لاخير في الاستعمار و الانتداب لأهل العراق و البلاد العربية و الإسلامية كلّها بل الخير كلّه للاستعمار نفسه، لأنّه «لم يكن يؤدّي واجبه الذي أُنتدب له و يهمّه أن يستغلّ خيرات البلاد و أن يسخر امكاناتها لمصلحته كما يهمّه أن يسيطر علي مقدراتها في كل حقل» (أبوحاقه،١٩٧٠م: ٢١٣).

الاستعمار لا يهتمّ بالشعب، بل الأهمّ عنده مصالحه المادية و يحذف من يسدّ طريقه، لذلك نري أنّ الاستعمار قد يخلق المأساة الدامية في البلاد الإسلامية مرات عديدة و منها هي كارثة (الفلوجة). الرصافي يشكو منها و يندّد الاستعمار و أعماله الاجرامية بحق الأبرياء و يدينها و يتوّعد الإنجليزَ بأنَّ هذا الكرب لايفرّج عن أهل العراق إلا بالسيوف الماضية:

« أيها الإنجليزُ لنْ نتناسي ... بغيكم في مساكنِ الفلّوجه
ذاك بغي لنْ يشفَي اللهُ إلا ... بالمواضي جريحَه و شجيجَه
هو كرْبٌ تأبي الحميةُ أنّا ... بسوي السيف نبتغي تفريجَه»

(الرصافي،السابق: ٦٠٧).

هو في مواصلة عملية فضح الاستعمار يتطرّق إلي الحرية في سياسة الاستعمار بالأسلوب الساخر و يعتقد بأنّ «الخطة العامة للاستعمار هي تجهيل الأمة، و جعلها غير قادرة علي فهم مخططاته و أساليبه» (عبود شراد،١٩٩٨م: ٩٦). الحرية في سياسة الاستعمار هي السكوت أمام الظلم و تحمّل المصاعب بدل الحركة و الثورة عليها و نبذ التفهّم و التعقّل في شؤون الحياة:

«يا قومُ لا تتكلّموا ... إنّ الكلامَ محرَّمُ
و تأخَّروا عنْ كل ما ... يقضي بأنْ تتقدّموا
ودَعوا التفهُّمَ جانباً ... فالخيرُ ألّا تفهموا»

(الرصافي،السابق: ٥٨٤).

من سياسة الاستعمار تجاه البلاد الإسلامية هي اثارة الحروب الدينية و العودة إلي الحروب الصليبية و التحدّث عنها، و منها هي خطابة الجنيرال (غورو) في بيروت و الاشارة إلي الحروب الصليبية و التفاخر بها. و هذا أغضب البلادَ الإسلامية و الأحرارَ و المثقّفين و منهم الرصافي الذي ينتقد (غورو) و يذكر خطابه بـ(التعصّب في عصر المدنية):

«رُويدَك «غورو» أيهذا الجَنيرالُ ... فقد آلمتْنا مِن خطابِك أقوالُ
أتيتَ بلادَ الشرقِ من بعد هدنةٍ ... قد إضطربت في المسلمين بها الحالُ
فذكّرتَه أهلَ الصليب و حربَهم ... إذا انبعثَت منهم إلي الشرقِ أبطالُ
فحركتَ حزناً كان في الشرق ساكناً ... و جدّدتَ عهداً منه في الشرق أوجالُ»

(السابق: ٥٦٢).

الرصافي هو ينتهز الفرص التي سنحت له لادانة الاستعمار، فهو في الحفلة التي أقامها الحزب الوطني في بغداد لتكريم المستر(كراين) الثريّ الإمريكيّ الشهير يخاطب (كراين) و يرحّب به و لترحيبه

به طابع سخريّ ثمّ يتطرّق إلي الاستعمار و يعتقد بأن الغرب هو خائنٌ للشرق و وظالم له و يغصب ثرواته و خيراته:

« يـــا محـــبَّ الشـــرقِ أهـــلاً بِـــك يـــا مســـتر كِـــراين
جئـــتَ يـــا مســـتركراينْ فـــانظر الشـــرقَ و عَـــاينْ
إنَّ هـــذا الشـــرقَ و الغـــر بَ لمغبـــون و غـــابن
و تـــري الغـــربَ عليـــه واقفـــاً موقـــفَ خـــائن»

(الرصافي،٢٠٠٦م: ٥٦٧).

الرصافي في قصيدة (ولسون بين القول و الفعل)، «يؤنّب ولسون كنائب الاستعمار، لأنّه كذب في أقواله و خدع الناس» (ميرقادري و كياني، ١٣٩١ه.ش:...) و هو يعتقد بأنّ الكذب شيمة الاستعمار كلّه و لا ولسون فحسب:

« قـــال حريـــةَ الأنـــامِ هـــي الغـــا يـــةُ لـــي فـــي الـــوغي فغـــرّ الأنامـــا
مـــدّ ولســـونُ فـــي السياســـةِ حَـــبلاً جمـــعَ الـــنقض فيـــه و الابرامـــا»

(الرصافي، السابق: ٥٦٤).

الرصافي هو ينتقد من سلوك ولسون السياسيّ و يعتقد بأنّ هذا السلوك يشمل الاستعمار كلّه و هناك ولاسن عديدة في الغرب:

« لـــم يكـــنْ ولِســـنُ فـــرداً إنّ فـــي الغـــربِ ولاســـن»

(السابق: ٥٦٨).

فهو يحذّر أبناء وطنه من الانخداع بالحيل الاستعمارية و أقواله و ادعائه بالمدنية و التمدّن و يأتي بنماذج من أفعال الاستعمار الاجرامية في مصر و تونس من القتل و النهب اسناداً لآرائه:

«و لا تغتـــرِرْ أن قيـــلَ عصـــرَ تمـــدّن فـــإنَّ الـــذي قـــالوه مـــن أكـــذبِ الكـــذب
ألســـتَ تـــراهم بـــين مصـــرَ و تـــونس أبـــاحوا حِمـــي الاســـلامِ بالقتـــلِ والنهـــب»

(السابق: ٦٢٣).

الاستعمار يتشبّث بآليات مختلفة للوصول إلي مصالحه المادية نحو عقد المعاهدات بينه و بين البلاد الإسلامية التي يمارس فيها الضغط علي البلاد الإسلامية و تضمن المعاهدة حضورَ الاستعمار لسنوات طويلة، لكن الاستعمار لا يفي بعهوده، بل ينقض كل ما يحرج مركزه. ينتقد الرصافي من الاستعمار لعدم وفائه بعهوده و نقضها:

«لـــيسَ الإنكليـــزُ بمنقـــذينا و إنْ كتبـــتْ لنـــا مـــنهم عهـــود
متـــي شـــفقَ القـــويُّ علـــي ضـــعيفٍ و كيـــف يعاهـــدُ الخِرفـــان سِـــيدُ»

(السابق: ٥٩٩).

«فـــلا تـــرجُ فـــي الـــدنيا وفـــاءً لعهـــدهم فلا بدَّ في الأيام للعهدِ من نَكْث»

(السابق: ٦١٠).

الرصافي لايشكو من المعاهدات و نقضها فقط، بل يعتقد بأنّ هذه المعاهدات كلّها تضمن مصالح الاستعمار لاغيره، و لا خير فيها للعراق و البلاد الإسلامية بل العكس، هي قيد لأبناء الإسلام و حريتّهم التي تستمرّ سيطرة الاستعمار بها:

« خلفْتم لنا من كلِّ عهد مموّه قيوداً بها استقلالُنا يتقيد»

(السابق: ٤١١).

«و لكن نحن في يدِهم أساري و ما كتبوه من عهدٍ قيود»

(السابق: ٥٥٩).

الرصافي هو كبهار بعد التحدّث عن الاستعمار و ما أحدث من المشاكل في البلاد الإسلامية و غيرها و فضح أساليبه و الكشف عن مساوئه و خطره للمسلمين، فيدعو أبناء وطنه و المسلمين كلّهم إلي الدفاع عن الوطن و الذود عنه، قائلاً:

« يا قومُ إنّ العدا قد هاجمُوا الوطنا فانضوا الصوارمَ و احموا الأهلَ و السكنا
و استنهضوا من بني الاسلامِ قاطبة من يسكنُ البدوَ و الأريافَ و المُدنا»

(الرصافي،٢٠٠٦م: ٦٣٥).

فكما نري أنّ دعوة الرصافي للدفاع عن الوطن تشمل جميع المسلمين من أهل البدو و الريف و المدنية و هذه تُبدي لنا شمولية الوطن عند الرصافي، و قد تشمل دعوته الشرق كلّه:

« ألا انهضْ و شمّرْ أيها الشرقُ للحربِ و قِلْ غرارَ السيفِ و اسلُ هَوي الكُثْبِ»

(السابق: ٦٢٣).

التحليل و المقارنة:

بهار كان يبغض الإنجليز أكثر من روسيا و يعدّها العامل الرئيسي في تخلّف ايران و البلاد الإسلامية، و لكنّه يعتقد بأنّ روسيا هي لا تقنع بالمنافع و الامكانيات، بل تريد ايران كلّها، لأنّ روسيا هي متاخمة بايران فتريد انضمامها إليها خلاف الانجليز التي تسعي للحصول علي المنافع و السلب و النهب. هو يتابع اجراءات الاستعمار و يردّ عليها ردّاً مناسباً كاثارة احاسيس و مشاعر الشعب الوطنية و القومية و الدينية و الكشف عن مقاصد الاستعمار. امّا الرصافي، فأوّل الطريق عنده للقيام ضدّ الاستعمار هو فضح أساليبه و جرائمه و الكشف عنه و كثيرما يصف الاستعمار و يكشف عن نواياه خلاف بهار الذي يناهض الاستعمار و يدعو أبناء وطنه للقيام عليه أكثر من وصفه و هذه تعود إلي تواجد الاستعمار في البلاد العربية أكثر من ايران. الرصافي يتطرّق إلي تدخّل الاستعمار في شؤون الحكومة و الوزارة كثيراً و لا نري هذه الظاهرة في شعر بهار و هذه ترجع إلي نوع الاستعمار في ايران و البلاد العربية. بهار و الرصافي كلاهما يعتقدان بأنّ الاستعمار لايفي بعهوده و اتفاقياته و يتذكّرانها دوماً في أشعارهما. إنّهما قد يعتمدان علي االهزء و السخرية في كلامهما و عندما يدعوان معاصريهما إلي الدفاع عن الوطن، يصبَغ كلامهما صبغة ملحمية و تكثر فيه المفردات المتينة و الضخمة و بعض الصناعات كالمبالغة.

الاهتمام بشوؤن بلاد العالم و أحداثها السياسية

إنّ بلاد العالم كلّها متأثّرة بالأخرى بسبب الصلات و العلاقات العميقة بينها، لذلك الشاعر الملتزم السياسيّ لايهتمّ بظروف بلاده الداخلية و الخارجية و أحداثها فحسب، بل يتطرّق إلي بلاد العالم كلّها و يتابع أحداثها السياسية لكي يتعرّف علي مكانة بلاده في العالم و أثر الأحداث السياسية الخارجية علي بلاده. الشاعر يصف لأبناء وطنه الأحداث الخارجية لتنوير و تبيين أفكارهم و توجيههم إلي الصحيح، أو يشير إلي سقوط حكومة لتحذير الحكومة الداخلية من الجور و الاستبداد أو يصوّر بطلاً قومياً وطنياً

للشباب ليحرّضهم علي الدفاع عن الوطن و القيام ضد العدو.

الاهتمام بشؤونِ بلاد العالم و أحداثها السياسية في شعر بهار

بهار عندما يتحدث عن الاستعمار الإنجليزي و ينتقده، لايكتفي بأعماله الاستعمارية في ايران فحسب، بل يتطرق إليه في البلاد العربية و يدعو عليه و يتمنّي هدمه و زواله من البلاد العربية، و هذا يبدي لنا فكرة االمقاومة العالمية ضد الاستعمار عند بهار:

«چون كه ياد آري ز پالايشگه نفت عراق — دل كني چون كوره و از ديده خون پالاشوي
درغم خرماستان بصره و كوت و كويت — سينه چاك و بي‌بها چون دانه خرما شوي
حاصل ملك فلسطين را نخورده چون يهود — خوار و سرگردان به هر جا سخره و رسوا شوي »

(بهار،١٣٨٧ه.ش: ٥٤٤).

بما أنّ بهار من هواة دول الائتلاف في الحرب العالمية و نظراً إلي ما جري علي الديموقراطيين و الأحرار الايرانيين من المصاعب و العقوبات من قِبَل روسيا، فانّه يتابع انتصارات دول الائتلاف علي الحلفاء و يسرّ منها و من فتح ألمانيا مدينةَ (ورشو) قائلاً:

«قيصر گرفت خطه ورشو را — در هم شكست حشمت اسلو را
ديري نمانده كز يورشي ديگر — مسكف زكف گذارد مسكو را»

(السابق: ٢٣٠).

هو لا يسرّ من انتصارات دول الائتلاف فحسب، بل يتحدّث عن موت (تزار) و يسرّ منها و يأخذ كلامه طابعاً سخرياً نقدياً و هذه منبعثةٌ من حقده و بغضه روسيا و ملكه (تزار):

«مبين تو زار و زبون مردمان غوغا را — كه رزمجوئي غوغا بكشت زار، تزار
نقاط مسكو و پطر، از تزار برگشتند — دو نقطه چون يكي گشت شد تزار نزار
دو مار بودند آري تزار و فرزندش — زمانه بين كه برآورد از اين دومار، دمار»

(السابق: ٢٥٤).

بهار يهتمّ كثيراً بالدولة العثمانية، لأنّها هي متاخمة لإيران و هي دولة مسلمة و لأحداثها أثرٌ علي ظروف ايران السياسية و الاجتماعية. هو عندما يخاطب محمدعلي شاه، يذكّر له قصة عبدالحميد و ظلمه و جوره عبرةً له و حذراً من مصير عبدالحميد، لأنَّ عبدالحميد استأثر بالثورة الدستورية و أبادها، و أغضب الأحرارَ فهجموا عليه و خلعوه من الحكم:

«شرح لويي شانزده نبود مفيد — پند فراگير زعبدالحميد
فرمان در دادن مشروطه داد — داد در آغاز به مشروطه داد
چون تو قسم خورد و دگر عهد بست — و آن همه را يكسره در هم شكست»

(السابق: ٧٩٢).

و لكن محمدعلي شاه لم يتنصّح، فأصابه مصير عبدالحميد و خلعه الأحرارُ و الثوريون من الحكم و نُفي عن ايران. بهار يعتقد بأنَّ الجهل هو السبب الرئيسي في فشل عبدالحميد العثماني و انتصار جيش (سلانيك) عليه، و عاقبة الجهل و الجور و الظلم هي الزوال و الانحطاط:

«عبدالحميد از جهل مبرم چه ديد — جز بند و مسمار جهل
وز جور و استبداد جز غم چه ديد — اين است آثار جهل»

(السابق: ١١٥).

هذين البيتين يبديان لنا أنَّ بهار لا يترك الجانب الخلقي أبداً حتي في أشعاره السياسية بل هو يعتقد بأنَّ الملك عليه أن يراعي الجانب الخلقي في سلوكه السياسيّ و يعتبر الجهل السبب الرئيسي لزوال عبدالحميد العثماني.

بما أنّ بهار من الأحرار و يحبّ شمولية الحرية في العالم كلّه، لذلك يقدّم أحرّ تهانيه إلي الشعب العثماني لانتصار جيش سلانيك علي عبدالحميد العثماني:

«اي ملـــت عثمـــاني اي رويتـــان پيوســـــته روي خـــــدا
اي ملـــت عثمـــاني اي ســـويتان همـــــواره روي خـــــدا
شـــد مايـــه رادي و فرزانگـــي جـــــيش ســـــلانيكتان»

(بهار،١٣٨٧ه.ش: ١١٣).

و يعتقد أنَّ انتصار الأحرار العثمانيين علي عبدالحميد العثماني منبعثٌ من الاتحاد و يشيد بجيش سلانيك لاتحادهم:

«چتـر (ترقـي) تـان برازنـده شـد از نعمـــت (اتحـــاد)
بنيـاد (اقـدام) عـدو كنـده شـد از همـــــت اتحـــــاد»

(السابق).

الشاعر هنا يستخدم أسماء الأحزاب و الجرائد في كلامه كـ(اتحاد) و(ترقي) و (اقدام). و عندما يري نتيجة اتحاد العثمانيين، يدعو (محمد الخامس) إلي الاتحاد مع ايران:

«شـــاها در علـــم و خـــرد بـــاز كـــن بـــــر دولـــــت خويشـــــتن
ايرانيـــان را يـــار و دمســـاز كـــن بـــــا ملـــــت خويشـــــتن
تـــا ديـــن شـــود زيـــن اتحـــاد آشـــكار اي شـــــاه دشـــــمن آشـــــكار»

(السابق: ١١٥).

بهار لا يهتمّ بالاتحاد بين الفصائل الايرانية فقط، بل الفكرة الوطنية عنده تشمل العالم الاسلامي و الشرق كلّه و الدين و مصالحه هو الأهمّ و أساس الاتحاد بين الشعبين العثماني و الايراني و بما أنَّ هذين الشعبين كلاهما شعبان مسلمان، فيدعوهما إلي الاتحاد علي أساس الدين. هو يعتقد بأنّ الاتحاد بين الدولة العثمانية و الايرانية تسبّب فقد أمل العدو و خيبته:

«تـــا ايـــن دو ملـــت بـــار ديگـــر شـــوند همدســـــــت و همداســـــــتان
بـــر دشـــمنان ديـــن مظفـــر شـــوند بـــــر ســـــيرت باســـــتان»

(السابق: ١١٦).

و هو يذهب إلي أنَّ الإسلام أساس الاتحاد و لكن العدو- الاستعمار- مزّق جبهة الوحدة و الاتحاد و الشاعر يرجو أن تعود الوحدة و الاتحاد إلي العلاقات بين الدولة العثمانية و ايران:

«ملـــت عثمـــاني بـــا مـــا يكـــي اســـت مـــا دو جماعـــت را مبـــدأ يكـــي اســـت
داريـــم اميـــد كـــه از فـــر بخـــت وصـــل شـــوند ايـــن دو تنـــاور درخـــت»

(السابق: ٧٩٣).

بما أنّ بهار من معارضي الاستعمار و الانتداب العالمي في البلاد الإسلامية خاصة، فيدعم الثورات و الحركات التحرّرية في أقصي البلاد الإسلامية ضد الاستعمار. من هذه الحركات التحرّرية هي ثورة (رشيد عالي الكيلاني) الذي ثار علي الاحتلال الإنجليزي في العراق و ألغي المعاهدة الإنجليزية- العراقية و هجم علي قواعدها بمساعدة عتاد ألمانيا:

«رشـــيد عـــالي» از اعيـــان تـــازي بـــه آشـــوب و بـــه شـــورش دســـت بگشـــاد
وز آن پيمـــان كـــه بـــا انگلســـتان بـــود گـــذر كـــرد و نـــداي حـــرب در داد
بـــه قصـــد پادگـــان انگلســـتان ســـپاه از هـــر طـــرف بيـــرون فرســـتاد»

(السابق: ١٠٧١).

الشاعر يشيد بالأبطال القوميّين والوطنيّين من خارج الوطن العربيّ و يمدحهم لمؤشراتهم و خصائصهم الشخصية أولاً و لتأسّي شباب الوطن بهم و تحريضهم للدفاع عن الوطن ثانياً، لذلك يقوم

بمدح بعض الأبطال القوميّين نحو (جواهر لعل نهرو) رئيس الوزراء الهندي و يشتاق إليه:

« از جواهر لعل خوشتر زان كه همرنگ دل است — زان دل من بر جواهر لعل نهرو مايل است»

(بهار،١٣٨٧ه.ش: ١١٤٠).

بهار لا يهتمّ بالأبطال القوميين الشرقيين فقط، بل يتطرّق إلي البلاد الأوروبية و أبطالها القومية و الوطنية و منهم (نابليون بنابارت) الفاتح الفرنسي و هو يشيد به و بفتوحاته خلال اشادته بفاتحي طهران:

« خبرنگاران نيز از فتح ناپلئون — بسي دهند نشان و بسي دهند خبر
كه خود به نمسه و ايتاليا چگونه گذشت — همان به مصر چه كرد آن امير نام آور
چگونه راند سپه در بسيط خطه روس — به مسكو اندر بر خيره چون فكند شرر»

(السابق: ١٤٤).

أكثر ما آذي بهار في السياسة الخارجية هو الاستعمار و الانتداب و الاحتلال الأجنبي. فطرد الاستعمار و رفضه من البلاد الإسلامية و غيرها من هواجسه الهامّة التي يفكرّ بها دوماً. لذلك عندما تسنح له الفرصة، ينتقد الاستعمار و الانتداب و يبدي بغضه منه. من هذه الفرص استقلال بلدٍما عن الاحتلال و الانتداب كاستقلال الهند و باكستان يسرّ بهار لهما و يتحدّث عنها في أشعاره و يشيد بها و يمدحها. بهار أنشد قصيدة (يادگار بهار) بعد استقلال باكستان و أظهر فيها حبّه و فرحه لاستقلال باكستان و أشاد فيها بالوحدة االوطنية و الدينية و الأخلاق و الاستقلال:

«هميشه لطف خدا باد يار پاكستان — به كين مباد فلك با ديار پاكستان
مدام تشنه صلح است ملتش ، هر چند — كه نيست كم ز كسي اقتدار پاكستان
ز سوي مردم ايران هزار گونه درود — به ساكنان سعادتمدار پاكستان»

(السابق: ٥٩٩).

و هو أيضاً أنشد قصيدة (هند و ايران) بعد استقلال الهند عن الاحتلال الانجليزي و أشاد باستقلالها و الوحدة الوطنية بين ايران و الهند:

«هند و ايران برادران همند — زبدة نسل آريا و جمند
منت ايزد كه هند گشت آزاد صحبت هند شد به — خلق بايد كه قل أعوذ دهند
نفت دل — و اهل ايران ز صحبتش دردمند»

(السابق: ٥٨٩-٥٨٨).

الاهتمام بشؤون بلاد العالم و أحداثها في شعر الرصافي

الرصافي هو شاعر البلاد العربية مهتمّاً بقضايا الاسلام، و للشرق مكانة عظيمة في شعره. فليس شاعر العراق فقط، بل الحرية و استقلال الشرق و تحرّره من قيود الغرب من هواجسه الهامة.

عندما هجم الطليان علي ليبيا و طرابلس الغرب، فيدين الغرب و الاستعمار و الطليان خاصة و يذكر لمخاطبيه بعض جرائم الاستعمار كالقتل و سفك الدماء و شنّ الاغارة:

«أيا زعماءَ الغربِ هل من دلالةٍ — لديكم علي خيرِ الخديعةِ و الكذب
ألمْ تبصروا القتلَي تموجُ دماؤها — علي الأرضِ و الجرحي يئنّون في الحرب
أفي الحقِّ أم في العلمِ الايسؤكم — ويخجلُكم شنّ الاغارةِ للغضب»

(الرصافي،٢٠٠٦م : ٦٢٦).

هو يشكو من الاستعمار و ما أحدث في طرابلس الغرب من القتل و الحرق و يتحسّر علي أنه ليس في طرابلس حتي يدافع عنها و يتعاطف مع أهلها:

«بلادٌ غدتْ في الحربِ تندبُ أهلَها — فتبكي و تستبكي بني التركِ و العرب

قـــدْ اغتالَهـــا الطليـــانُ و هـــي بمضـــجع مـن الأمـنِ لـم يقضـضْ برعـبٍ علـي الجنـب»

(السابق: ۶۲۳).

و يتّجه إلي الاستعمار و الطليان خاصة و يهدّدها ويتوعّدها بالأخذ بالثأر و الدفاع عن الوطن و سطوة الأبطال القوميّين و يحذّرها بأنّ شعب ليبيا ليس وحيداً في الحرب، بل العرب و المسلمون كلّهم بجانبهم:

« و يـا معشـرَ الطليـانِ قبّحـتَ مَعشـراً و لا كنـتَ يـا شـعبَ المخانيـثِ مـن شـعب
أتحســبُ هاتيــك الــديارَ و قــد خلــتْ مــن الجنـدِ تخلُـو مــن ضــراغمةٍ غلْـب
ســترجعُ منهــا بالفضــيحةِ ناكصــاً و تــذكرُكَ الأيــامُ بــاللعنِ و السـبّ
فلمّــا حللْــتم أرضَــنا ذقــتمُ الــردَي بأسـيافِنا حتـي صـحوتمُ مـن العجـبِ»

(السابق: ۶۲۵).

فنرى أنّ الرصافي رغم أنه لم يكن من أبناء ليبيا و لكنّه يتحدّث عن (أرضنا) و (إلينا) و (أسيافنا). فكلّ هذه الكلمات تدلّ علي شمولية الوطن عنده، فالبلاد الإسلامية كلّها هي وطنٌ للرصافي، ليبيا كانت أو العراق أو مصر. من هذا المنطلق هو يتحدّث عن البلقان و ما جري عليها من القتل و السلب و النهب، ثمّ يعنّف الدول العربية بعدم مساندة البلقان و أهلها:

«كـــمْ بـــأرضِ البلقـــانِ مـــنكم قتيـــل و أيـــامي مضـــاعةً و يتـــامي
لـــو أتينـــا تلـــكَ الـــبلادَ رأينـــا اليـــو مَ مـــنهم جماجمـــاً وعظامـــا
مـــا نضـــا للـــدفاعِ عـــنهم بنـــو العـــربِ حســـاماً و لا أحـــاروا كلامـــا»

(السابق: ۵۶۶).

والرصافي في مواصلة دفاعه عن ليبيا يتطرّق إلي (بنغازي) ويسلم عليها و يحرضّ أهلها للدفاع:

« و يـا أهـلَ بنغـازي سـلامٌ فقـد قضـتْ صـوارمُكم حـقَّ المـواطنِ فـي الـذّبّ
حميـتم حمـي الأوطـانِ بـالموتِ دونَهـا و ذاك بمـا فـيكم لهـنّ مـن الحـبّ»

(الرصافي،۲۰۰۶م: ۶۲۵).

و يخاطب الشيخ السنوسي المجاهد الليبي و يحرضّه للدفاع عن الوطن و قيادة الجيش و انشاء الوحدة بين الجنود:

« و مـن مُبلـغُ عنّـا السنوسـيَ أنّـه يمـدُّ لهـذا الصـدعِ منـه يـد الـرأب
فإنّـا لنرجُـو أن يقـودَ إلـي الـوغي طلائـع مـن خيـلٍ و مـن إبـلِ نجـب
فيحمـي بـلادَ المسـلمينَ مـن العِـدا و يـنهضُ كشـافاً لهـم غمـةَ الخطـب»

(السابق).

من المدن التي أسقطت علي يد الغربيين هي (أدرنة) و أخذها البلغار في الحروب البلقانية العثمانية. الرصافي يتعاطف معها و يتحسّر علي ما جري عليها من القتل و الدمار و سفك الدماء و يسلّيها و يعدها بأخذ بالثأر:

«أدْرِنَـــةَ مهـــلاً فـــإنَّ الظّبـــي ســـترعي لـــكِ العهـــدَ و المَوثِقَـــا
عَـــزاءً لمســـجدِك الجـــامعِ أ فـــارقَ محرابُـــهُ المنبـــرا
إذا أنـــتَ بالسـيفِ لـــم ترجَعـــي فلاحَبَّـــذا العـــيشُ لا حَبَّـــذا»

(السابق: ۶۳۰).

فهو يدافع عن البلاد الإسلامية و لو كانت (أدرنة) في منطقة البلقان و هذه الأبيات تُبدي لنا الوطنية الإسلامية عند الرصافي و حبّه لها.

الرصافي لايتحسّر علي مصاعب البلاد الإسلامية و يحزن لها فحسب ، بل يدعو الآخرين إلي التعاطف معها و الدفاع عنها. فهو إذ يري عدم الاهتمام بقضايا المسلمين و قتلهم علي يد الاستعمار، يونّب و يعنّف المسلمين علي أعمالهم العنترية و عدم المسئولية تجاه المسلمين المنكوبين. فهو في أثناء حرب البلقان، لما أقيم في مصر عرس لكريمة مصري عند اقترانها بابن الداماد فريد باشا، يؤنّبهم:

« أطـــــربَتهم بلحنِهـــــا الأنغـــــامُ حـــــينَ أدمـــــتْ قلوبَنـــــا الآلامُ
فأقـــاموا مجـــالسَ الأنـــسِ حتـــي رقـــصَ العـــارُ بيـــنهم و الـــذَّامُ
أضـــحكوا أوجـــهَ الســـفاحةِ ضِـــحكاً قـــد بكـــتْ فـــي خلالِـــه الأحـــلامُ
أيهـــا المُولمُـــون فـــي مصـــرَ مهـــلاً إنَّ ايلامَكـــــم لَنـــــا ايـــــلامُ
أتغنّـــــيكم القيـــــانُ بيـــــوم قـــام فـــي مـــأتمٍ بـــه الإســـلامُ
(الســـــــابق: ٢٠٧-٢٠٦).

الرصافي شاعر عربي،مهتمٌّ بوحدة البلاد العربية و كان يعارض التيارات الوطنية ضد العروبة في البلاد العربية نحو ما جري في مؤتمر باريس و نفي العروبة من قبل الاصلاحيين. فهو إذ يري تيار التمصير و نفي العروبة في مصر، يردّ عليها و يدينها:

«مـــن جَـــوْر مصـــرَ علـــي العروبـــةِ أنَّهـــا تتعمّـــدُ التمصـــيرَ فـــي آدابهـــا
و تحيـــدُ عـــن آدابِ كـــلِّ قبيلـــةٍ لـــم تنتحلْهـــا مصـــرُ فـــي أنســـابها»

(السابق: ٢٣٩).

وكان يهتمّ كثيراً بمصر و قضاياها و يتابع شؤونها عن كثب و يبدي حبَّه لها و هو إن يمدح الأبطال القوميّين و الوطنيّين، فيؤنّب و يعنّف الذين خانوا الوطن الإسلامي و شايعوا الاستعمار و منهم (حسين كامل) و وزيره (حسين رشدي)في مصر بعد مشايعتهما الاستعمار و خيانتهما علي مصر:

«قـــل للحُســـنَينِ فـــي مصـــرٍ رُويـــدكما قـــدْ خنتُمـــا اللهَ و الاســـلامَ و الوطنـــا
شـــايعتما الانكليـــزَ اليـــومَ عـــن سَـــفهٍ تـــاللهِ مـــا كـــان هـــذا منكمـــا حســـنا
لاتفرحـــا بالوســـامينَ اللـــذين همـــا طوقـــا اســـارةِ مِصـــرٍ فيكمـــا اقترنـــا»

(الرصافي،٢٠٠٦م: ٦٣٦).

فنرى أن الرصافي لايجامل أحداً و لو كان رئيس الوزراء أو وزيره، بل الأهمّ عنده هو الوطن و مصالحه و لا يخاف من الاستعمار و الاستبداد و الحكومات. و يعتقد بأنّ الوسام الذي يعلّقه الاستعمار علي عنق رئيس الوزراء في الحقيقة هو طوق اسر مصر و أبناءها، أي إنّ هؤلاء هم عملاء الاستعمار و الاستعمار هو يستمرّ سيطرته بواسطتهم.

الشاعر يتطرق إلي الثورة الدستورية في ايران، فتح طهران و خلع محمدعلي شاه عن الحكم و يقارن بينه و بين عبدالحميد العثماني و يقول أنّهما متشابهان في سلوكهما تجاه الدستور و كلاهما خُلعا عن الحكم في شهر تموز:

« راعـــتْ ســـلانيكُ دارَ الملـــكِ فانتبهـــتْ مِـــن ذاكَ طهـــرانُ تخشـــي أمـــرَ تبريـــزا
حتـــي غـــدتْ و هـــي فـــي تمـــوزٍ ناكســـةُ رايـــاتِ شـــاه رمـــاه الخلـــع مجنـــوزا
فالشـــاهُ فـــي شـــهرِ تمـــوزٍ هـــوي و كـــذا عبدالحميـــدُ هـــوي فـــي شـــهرِ تمـــوزا»

ج

(السابق: ٥١٤).

بهار أيضاً هو كالرصافي يتطرق إلي جيش سلانيك و خلع عبدالحميد العثماني و لكنّه علي خلاف الرصافي لا يتحدّث عن تبعية الثورة الدستورية و فتح طهران عن وقعة سلانيك، لكن الرصافي يعتقد هكذا.

بها أن الهند هي من مستعمرات الإنجليز و الإنجليز تستخدم من الجيش الهندي لاحتلال العراق و سائر البلاد الإسلامية و أنّ الهند هي من الدول الشرقية، فالرصافي هو يدعو لها أن تَتَخَلّصَ و يشبّه الهند بالفيل و العراق بالحمل و يرجو أن يقوم الفيل المقيد بالجنازير و ينهض و يستيقظ من نومه، فينهض الحمل إثره بمساندته:

«إذا مـــا ســـمعتُ الهنـــدَ فـــي قـــولِ قائـــلٍ تخيلـــتُ فـــيلاً بالحديـــدِ مكُـــبلا
تزجّيـــه كـــفُّ الأجنبـــيّ مُســـخّراً فيمضـــي بأعبـــاءِ الأجانـــبِ مـــثقلا
إنّـــي أظـــنُّ الفيـــلَ صـــاحبَ قـــوّةٍ تكـــونُ لـــه، لـــو شـــاءَ مِـــن ذاك مـــوئلا

فلـــو قـــامَ هـــذا الفيـــلُ و اســـتجمعَ القـــوي لهـــزّ بهـــا شـــمُّ الجبـــالِ و قلقـــلا
لنـــا حَمَـــلٌ و هـــو العـــراقُ نظنّـــه غـــدا مـــن وراءِ الفيـــل للـــذئب مـــأكلا
فـــإن يـــنجُ هـــذا الفيـــلُ مـــن قيـــدِ أســـره نجونـــا و إلا أصـــبحَ الأمـــرُ معضـــلا»

(السابق: ٥٨٨).

التحليل و المقارنة

دائرة السياسة عند بهار و الرصافي كانت تشمل الأحداث الداخلية و الخارجية و إنّهما يهتمّان بها و يتابعانها للتعرّف عليها و توجيه أذهان أبناء وطنهما إلي الحقيقة. بهار هو يتطرّق إلي البلاد العربية و الاسلامية و الشرق كلّه و قد يتحدّث عن البلاد الأوروبية و ما جري فيها من الأحداث و الثورات و الحركات. بما أنّ بهار كان مولعاً بالحرية و الاستقلال، فعندما يري الحرية و الاستقلال في بلدٍما كالهند و باكستان، فيسرّ منها و يتطرّق إليها و هذه منبعثة من شمولية الفكرة الوطنية و التحرّرية عنده. و من هذا المنطلق هو يمدح الابطال القوميّة و الوطنيّة و السياسيّة دون العنصرية، كمدحه (جواهر لعل نهرو) ، و هو يتابع الاستعمار في البلاد الخارجية و ينتقد منه و يدعو عليه. الرصافي هو شاعرٌ ملتزمٌ بالبلاد الإسلامية و العربية و يتطرّق إلي قضاياها و أحداثها و ما جري فيها من السلب و القتل و النهب من قِبل الاستعمار و الاستبداد. من خصائص الرصافي هي العروبة و حبّه للإسلام و من هذا المنطلق هو يتحدّث عن طرابلس و ليبيا و إزمير و أدرنة و سوريا و البلقان. فكرة السياسة الخارجية عند الرصافي تدور حول البلاد الإسلامية و العربية، و أمّا هي عند بهار تكون أكثر اتساعاً من الرصافي، لأنّ بهار هو يتطرّق إلي البلاد الإسلامية و العربية و الشرقية و الأوروبية. بهار هو يتابع الأحداث و الثورات و الحركات في البلاد العربية و الدولة العثمانية و يهتمّ بها و يدعو الدولة العثمانية إلي الاتحاد و لكن الرصافي لايتابع الاحداث و الحركات في ايران إلّا هو تحدّث قليلاً عن الثورة الدستورية في ايران، و لا نري عنده دعوة ايران إلي الاتحاد.

النتيجة

-بهار شاعرٌ ملتزمٌ بالوطن، فلهذا لايسكت أمام اجراءات الاستعمار و سلبه و نهبه ثروات البلاد الإسلامية و يعدّ روسيا شيطاناً التي لاتقنع بالمعاهدات و الامتيازات، بل تُريد ايران كلّها، لكنّه كان يبغض الإنجليز أكثر من روسيا و يعتبر الإنجليز السبب الرئيسي في تخلّف البلاد الشرقية و ايران خاصة. الحروب الاستعمارية لها جذر دينية و هي تتمة الحروب الصليبية، فهو يدعو أبناء وطنه إلي القيام عليه اعتماداً علي الأحاسيس الدينية.

الرصافي هو يناهض الاستعمار و الإنجليز خاصةً و أول الطريق في مناهضته الاستعمار هو فضح أساليب الاستعمار و جرائمه و الكشف عن مساوئه و يعتقد بأنّ لاخير في الاستعمار للبلاد العربية و الإسلامية، بل الخير كلّه للاستعمار نفسه. الرصافي يعتقد بأنّ خطة الاستعمار هي تجهيل الأمة و ذرع بذور الاختلاف و التفرقة للاستمرار سيطرته.

- بهار و الرصافي لايتطرّقان إلي الأحداث الداخليّة فحسب، بل يتطرّقان إلي البلاد الخارجية و أحداثها. بهار هو يدعو علي الاستعمار في البلاد العربية و يُتابع الحروب العالمية و فشل الحلفاء فيها و هذه تُبدي لنا فكرة القيام العالمية ضد الاستعمار. بهار هو يؤكّد علي الدين في العلاقات الخارجية، فيدعو الدولة العثمانية المسلمة إلي الاتحاد. بما أنّه من معارضي الاستعمار، فيُدعم الثورات و الحركات التحرّرية ضد الاستعمار نحو ثورة (رشيدعالي الكيلاني). و هو يشيد بالأبطال القوميّة و الوطنيّة في البلاد الأجنبية و يهنّئ باستقلال البلاد الإسلامية و غيرها كالهند و باكستان.

الرصافي ينظر إلي البلاد العربية و الإسلامية كلّها بمنظار واحد، فنري أنّه يتابع الأحداث و الحروب في ليبيا و بلقان و طرابلس و إزمير و يتحسرّ بها جري عليها من القتل و الهدم و السلب و النهب و يتحدّث عن هذه البلاد بكلماتٍ نحو (أرضنا) و (إلينا) و (أسيافنا) و هذه تُبدي لنا الفكرة الوطنية العالمية عند الرصافي. هو لاينتقد من الرجال السياسيّة في داخل البلاد، بل هو ينتقد من الوزراء و الأمراء و

الملوك في البلاد العربية و الإسلامية كلّها، نحو حسين كامل و وزيره حسين رشدي في مصر و التحدّث عن الثورة الدستورية في ايران. هو أيضاً كبهار يشيد و يمدح الأبطال القومية الخارجية.

المراجع و المآخذ

١- آژند،يعقوب،(١٣٨٥ه.ش)تجدّد ادبي در دوره مشروطه،تهران:مؤسسه تحقيقات و توسعه علوم انساني.

٢- أبوحاقه، أحمد،(١٩٧٠م) الالتزام في الشعر العربي، الطبعة الأولي، بيروت: دارالعلم للملايين.

٣- أصيل، حجت الله، (١٣٧٤ ه.ش) برگزيده و شرح ملك الشعراء بهار، چاپ اول، تهران: نشر فرزان.

٤- البقاعي، ايمان يوسف ،(١٩٩٤م) معروف الرصافي، الطبعة الأولي، بيروت: دارالكتب العلمية.

٥- بهار، محمدتقي،(١٣٣٤ه.ش) تاريخ تطوّر شعر فارسي،تهران.

٦- (١٣٨٧ ه.ش) ديوان اشعار، چاپ اول، تهران: نگاه.

٧- جمال‌الدين، محمد السعيد،(١٣٨٩ه.ش) ادبيات تطبيقي، پژوهشي تطبيقي در ادبيات فارسي و عربي؛ ترجمه سعيد حسام‌پور و حسين كياني، چاپ اول، شيراز: نشر دانشگاه شيراز.

٨- (٢٠٠٣م)الأدب المقارن؛دراسات تطبيقية في الأدبين العربي و الفارسي،الطبعة الثالثة،مصر: دارالهداية.

٩- الجيوسي، سلمي خضراء ، (٢٠٠٧م) الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، الطبعه الثانية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٠- خليل، ابراهيم، (٢٠١١م) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، الطبعة الرابعة، عمان: دارالسيرة.

١١- خورشا، صادق،(١٣٨١ه.ش) مجاني‌الشعر العربي الحديث و مدارسه،چاپ اول، تهران: سمت.

١٢- الخوص، أحمد، (١٩٨٦م) نظرات في الأدب الحديث،الطبعة الثالثة، دمشق: دارالفكر.

١٣- الراجحي، عبده،(٢٠٠٧م) محاضرات في الأدب المقارن، الطبعة الثانية، بيروت: دارالنهضة العربية.

١٤- الرصافي، معروف،(٢٠٠٦م) الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت: دارالعودة.

١٥- رفعت، محمود، (١٣٦٥ه.ش) نغمه كلك بهار، چاپ اول، تهران: مؤسسه چاپ و انتشارات علمي.

١٦- زرين‌كوب، عبدالحسين، (١٣٤٧ ه.ش) با كاروان حله، تهران: انتشارات علمي.

١٧- عبدالرحمن، ابراهيم، (٢٠٠٠م) الأدب المقارن بين النظرية و التطبيق، الطبعة الأولي، قاهره: الشركة العالمية المصرية لونجمان.

١٨- عبود شراد، شلتاغ، (١٩٩٨ م) تطوّر الشعر العربي الحديث، الطبعة الأولي، عمان:دارمجدلاوي.

١٩- عبّود، عبده، (١٩٩٩م) الأدب المقارن، مشكلات و آفاق، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

٢٠- الفاخوري، حنا، (١٣٨٥ه.ش) تاريخ الادبالعربي،چاپ چهارم، تهران: انتشارات توس.

٢١- كفافي، محمد عبد السلام، (١٩٧١م) في الأدب المقارن، الطبعة الأولي، بيروت: دارالنهضة العربية.

٢٢- گيوي، حسن،(١٣٧٠ ه.ش) جامعه شناسي در ادبيات فارسي،چاپ اول، تهران: نشر قطره.

٢٣- مصطفوي‌نيا، سيد محمد رضي و رحمني، ابوالفضل، (٢٠٠٩م) «الوطنيات في أشعار

ملكالشعراء بهار و معروف الرصافي»،مجلة اللغة العربية و آدابها، السنة الخامسة، العدد الثامن، صص ١٠٣ -١٢٢.
٢٤- محمد جمعة، بديع،(١٩٨٣م) من قضايا الشعر الفارسي الحديث، بيروت: دار النهضة العربية.
٢٥- ميرقادري، سيد فضلالله و كياني حسين، (١٣٩٠ه.ش) نظرية التلقّي في ضوء الأدب المقارن، مجلةالجمعية العلمية الايرانية للغة العربية و آدابها، العدد ١٨، صص ١- ٢١.
٢٦- ــ، (١٣٩١ه.ش) بررسي تطبيقي رويارويي با پديدهي استعمار در شعر سيد اشرف الدين حسيني و معروف الرصافي،بوستان ادب،شماره سيزدهم، دانشگاه شيراز.
٢٧- ندا، طه،(١٩٩١م) الأدب المقارن، بيروت: دارالنهضة العربية.
٢٨- نظامي، پرويز، (١٣٨٧ه.ش) از رودكي تا فروع، چاپ اول، تهران: انتشارات گوتنبرگ.
٢٩- نظري منظم، هادي،(١٣٨٩ه.ش) «ادبيات تطبيقي: تعريف و زمينههاي پژوهش»، نشريه ادبيات تطبيقي، دانشكده ادبيات و علوم انساني، دانشگاه شهيد باهنر كرمان، سال اول، شماره دوم. صص ٢٢١-٢٣٧.
٣٠- نيكوهمت،احمد،(١٣٦١ه.ش) زندگاني و آثار بهار،چاپ دوم،تهران:انتشارات آباد.
٣١- هلال،محمد غنيمي،(١٩٦٢م) الادب المقارن،بيروت:دار العودة.